**مقدمات العمل الناجح**

**الخلاصة:** دراسة التراث الإسلامي حول الإيمان والعمل والتوفيق آليات الوصول لنتيجة أي جهد. وإسقاطه على الواقع المعاش للعاملين في كل المجالات الاجتماعية والسياسية وغيرهما. وهي محاولة لتشخيص الخلل المتفاقم لدى العاملين في فشلهم لبلوغ النتائج المرضية، او عدم تحقيق الأهداف المرجوة كما خطط لها.

ليتأكد العامل في ان عمله سليما ويؤتي أكله لابد ان يراعى الأمور التالية:

الإيمان والعمل والتوفيق هي بمجموعها المحرك الديناميكي لكل خطوة في اي سلوك ينتهج أو جهد يبذل. ولا بد من أن تتحقق التسلسلية فيها: اولا الإيمان بالفكرة وثانيا العمل على تحقيقها والوصول للهدف وثالثا التوفيق على الاستمرار بها حتى النهاية وليس بالضرورة ان يستهلك زمنا طويلا بين الواحد والآخر وانما يستحضرها جميعا ويعمل على أساسها.

وقبل البدء علينا ان نتعرف على معاني المفردات الثلاث السابقة:

**1- فالإيمان** يعني: التصديق والثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة أو البرنامج أو النظام الداخلي، قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: [الإيْمَانُ عَقْدٌ بِالقَلْبِ، وقَوْلٌ بِاللسانِ، وَعَمَلٌ بِالأرْكان]، ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام على قاعدة التلازم بين

القول والعمل في تحقق مفهوم الإِيمان، فيقول: (ليس الإِيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإِيمان ما خلص في القلوب وصدّقته الأَعمال).

وعليه فالعمل الناجح هو تصديق لعمق الإيمان بالمبدأ والفكرة. أنّ مفهوم الإِيمان في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مثلا، يتجاوز دائرة الاعتقاد المنسلخ عن السلوك، ويرتكز على رؤية موحدة ومترابطة تذهب إلى أنّ الاعتقاد القلبي متقدم تراتبياً على الإِقرار اللفظي، ولا بدَّ من أن يتجسد هذا الاعتقاد وذلك الإِقرار إلى سلوك سوي. ثم إنّ كلّ تفكيك بين الإِيمان وبين العمل يفتح الباب على مصراعيه أمام النفاق والمظاهر الخادعة والدعاوى الباطلة. وعلى هذا الأَساس قال الإِمام الصادق عليه السلام :( الكفر إقرارٌ من العبد فلا يُكلف بعد إقراره ببيّنة، والإِيمان دعوى لا يجوز إلا ببيّنة وبينته عمله ونيته). ومنه تستنتج: أن الأَئمة عليهم السلام أكدوا على أنّ الإِيمان كل لا يتجزأ، ويرتكز على ثلاث مقومات: الاعتقاد والإِقرار والعمل. فالإمام عليه السلام في هذا الحديث يضع ميزاناً دقيقاً للإيمان يرتكز في أحد كفتيه على الباطن الذي تعكسه نية الفرد وانعقاد قلبه على الإِيمان، وفي الكفة الأُخرى يرتكز على الظاهر الذي يتمثل بعمله وسلوكه السوي الذين يكونا كمرآة صافية لتلك النية.

2- أما **العمل** فيعني حسب قواميس اللغة: المِهْنة والفِعْل، والجمع أَعمال، عَمِلَ عَمَلاً، وأَعْمَلَه غَيرهُ واسْتَعْمَله، واعْتَمَل الرجلُ: عَمِلَ بنفسه.

وعلى الرغم من ان الله قد وهب للإنسان من القدرة والمعرفة ما يمكنه من صياغة شخصيته حسب ما يشاء، الا انه لو لم يفعل ذلك فسوف يقاد بلجام شخصيته، وستكون اعماله في تجاه شخصيته، حتى مواقفه سوف تتأثر بنوع شخصيته، وصفاته، وعاداته وملكاته قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل. وقال سبحانه وتعالى: {قل كل يعمل على شاكلته}، أَي على طريقته وجَدِيلَته ومَذْهَبه؛ فيكون معنى الآية كل شخص يعمل حسب طريقته وطبيعته، وبالتالي فان مظهر عمله ينبئ عن مخبر ضميره ونيته، وهكذا تكون اعمال الناس تعبيرا عن طرائقهم، ومذاهبهم، وطبائعهم، وعاداتهم، وعلينا ان نكتشف من خلالها نياتهم، ونصبغ اعمالهم بها. من هنا جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام: (النية افضل من العمل، الا وان النية هي العمل). ثم تلا: (قل كل يعمل على شاكلته).

وقد تكون الاعمال متشابهة الا ان اختلاف النيات، وشخصيات العاملين، واهداف العمل يجعلها متناقضة، فالصلاة والصيام والحج قد يقوم بها المخلص فتكون معراجا وجنة وجهادا أكبر، وقد يقوم بها المرائي فتكون وبالا على صاحبها. والله سبحانه وتعالى هو الحكم الذي يقضي بسلامة النية أو عدمها: (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)، واذا

كنت تحب عملا، أو تهوى طريقة أو تعودت على سلوك ومذهب فلا يعني ان كل ذلك هو حق، بل أن مقياس الحق والباطل هو الله الذي اوحى بالكتاب ليكون فرقانا، ويهدينا الى سبل السلام، فلا تزك نفسك، ولا تجعلها مقياس الحق والباطل، قال تعالى: {الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا}. بل على العامل معرفة الحق أولا وهو المرجع اولا وآخرا قال الإمام علي عليه السلام: (إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال، اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله). ولذلك فإن من الإشكالات المهمة على بعض العاملين أنهم يجعلوا من أنفسهم المرجعية العليا في التقييم وليس للحق باعتباره القيمة المستحسنة والمتفق عليها عند الجميع أثرا في ذلك. ومن هنا ينشأ الإحباط والفشل وتتفاقم المشاكل.

كما وأن المناط في صحة الاعمال وفسادها هو القصد والنية، اذ الاعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فإذا ما شاب تلك النية شائبة مثل الرياء والرئاسة وحب الظهور والهوى وغيرها فإن نتيجة العمل ستنحرف لا محال. ويعرف العامل الصادق المخلص عن غيره في أنه يفرح ويسعد إذا وجد من هو أكثر إخلاصا منه في العمل بحيث إذا ظهر من هو اعدل وأحسن وعظا وأكثر علما وعملا منه واشد قبولا للناس فرح به ولم يحسده، وبالمقابل إذا حضر الأكابر والأعاظم مجلسه او اقتدوا به لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله، بل يبقى على ما كان عليه، وينظر الى عباد الله بعين واحدة.

ويفرح العامل المخلص ويداوم على العمل حتى بلوغ النتيجة ان رآها او يسعى لتحقيقها إن لم يصل للغاية. عنه صلى الله عليه وآله وسلم: الامور بتمامها، والاعمال بخواتمها، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: [ان العمل القليل الدائم على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين]. وجميل ما روي عن المسيح عليه السلام: (ان الناس يقولون: ان البناء بأساسه وانا لا اقول لكم كذلك. قالوا: فماذا تقول يا روح الله؟ قال: بحق اقول لكم: ان آخر حجر يضعه العامل هو الاساس).

ولكن العمل يلاقي من العثرات والمحبطات التي تفشله وتفسده. ومن المحبطات والمشينات للعمل غير الرياء فهو النفاق وهو مخالفة السر والعلن، سواء كان في الايمان او في الطاعات او في المعاشرات مع الناس، وسواء قصد به طلب الجاه والمال ام لا. ويؤكد ذلك ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: (لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطرى اخاه شاهدا و يأكله غائبا، ان اعطى حسده وان ابتلى خذله).

ومن مفسدات العمل الغرور، وهو الركون والسكون الى ما يوافق هوى النفس، قال الإمام الصادق عليه السلام: (وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه. وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك. وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة).

3- أما **التوفيق** فيعني حسب قواميس اللغة أيضا: هو أن يُعينك على ما تقصد، ويعينك على ما ترغب، ويعينك على الوصول إلى ما فيه صلاحك، هذا هو التوفيق وعكسه الخذلان وهو عدم النصرة والإعانة.

يقول الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: (المؤمن يحتاج إلى توفيقٍ من الله، وواعظٍ من نفسه، وقَبولٍ ممن ينصحه). فإذن على رأس نجاح العمل بعد الإيمان هو التوفيق والنصرة والمعونة.

ولو درسنا مما جاء في حديثٍ كان بين الإمام الكاظم عليه السلام وبين أحدٍ من الرجال، فقال: يا بن رسول الله أليس أنا مستطيع لما كلفت؟ فقال له عليه السلام: ما الاستطاعة عندك؟ قال: القوة على العمل، قال له عليه السلام: قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة، قال له الرجل: فما المعونة؟ قال: التوفيق ; قال: فلم إعطاء التوفيق؟ قال: لو كنت موفقا كنت عاملا، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملا. ثم قال عليه السلام: أخبرني عنك من خلق فيك القوة؟ قال الرجل: الله تبارك وتعالى، قال عليه السلام: هل تستطيع بتلك القوة دفع الضر عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى؟ قال: لا، قال: فلم تنتحل ما لا تقدر عليه؟! ثم قال: أين أنت عن قول العبد الصالح: (وما توفيقي إلا بالله).

نعم لا تكفي القوة، ولا تكفي القدرة لولا التوفيق. فبدون التوفيق يتلكأ العمل وقد يفشل وعليه فلا بد من الحاجة الدائمة لاستشعار التوفيق في كل الأعمال. هناك الكثير من الحالات التي يغفل فيها الإنسان عن هذه الجنبة وهي الالتفات إلى توفيق الله تعالى، وحينئذ يُبتلى بكثير من الأمراض النفسية، والعجب من أسوئها، وعدم استشعار التوكُّل، وعدم استشعار الحاجة)، كلُّ هذه الأمور التي تُنتج البعد عن الله عز وجل، إنما يقع فيها الإنسان نتيجة الغفلة عن الحاجة إلى التوفيق الإلهيّ. لذلك يجب أن يستشعر المؤمن، ويلقِّن نفسه أنه بحاجة إلى المعونة الإلهية سواء كان ذلك في عظائم الأمور، أم في صغائرها ومحقَّرَاتها. وتختصر تلك العلاقة في قول الإمام عليه السلام: (المؤمن يحتاج إلى توفيقٍ من الله، وواعظٍ من نفسه، وقَبولٍ ممن ينصحه)

ولكن تقف أمام العامل بعض من معرقلات التوفيق التي تمنعه من بلوغ هدفه. ومنها الكبر والمنة والتراخي بطول الأمل والاتكال على من هم أضعف منه والتردد والرياء وغيرها كثير جدا.

وبالجملة يمكن أجمالها في الحديثين الشريفين: [العمل كالوعاء، اذا طاب آخره طاب اوله]. و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: [من راءى بعلمه ساعة، حبط عمله الذي كان قبله] .

وقال عليه السلام: من أطال الأمل أساء العمل. قال أبو جعفر عليه السلام: (يا زياد إياك والخصومات، فأنها تورث الشك، وتحبط العمل، وتردي صاحبها، وعسى أن يتكلم بالشيء فلا يغفر له).

مما مر أعلاه نتبين أن من مستلزمات تقديم أي جهد في أي مجال لا بد وأن يتحقق الإيمان والعمل ويكونا خاليين من أي مفسدات وثالثهما هو التوفيق.

وكيف لنا أن نستفيد من هذه المقدمة في أن نعكسها على أي جهد يقدم في حياتنا العملية وحركية الواقع.

**إسقاطات التراث الإسلامي في تحقيق عمل ناجح في الواقع المعاش:**

كنا قد أسلفنا أن مستلزمات إنجاح أي جهد هي: الإيمان والعمل والتوفيق، فالإيمان بالفكرة أو المبدأ أو النظام الذي سيعمل عليه واستيعابه جيدا وفهم أهدافه وأبعاده وإمكانية تحقيقه عمليا، يسهل للعامل تحقيق غاياته وبنتائج مؤكدة وبثقة عالية. أما لو لم يثق ويؤمن بالجانب النظري فلا يمكنه العمل مخلصا وإنما يعمل لمصلحته وتحقيق غاياته على حساب العمل ككل. وإنما يصنف من المتطفلين أو المتسلقين لأنه امتطى الجهد إن كان جماعيا لأجل مصلحته وأهدافه الشخصية. ويستتبع ذلك بشكل أكيد عدم إخلاصه في تطبيق ما لم يؤمن به أصلا فيكون بعيدا كل البعد عن المنهج المبتغى والمرتجى من تحقيقه. وسيكون عمله نفاقا ورياء ويوصف بأوصاف أخرى منها

الانتهازية والتسلق والتطفل وغيرها من التوصيفات التي تجسد ان العامل يعمل بغير هدى ولا كتاب منير.

أما التوفيق والمقصود منه هو المعونة والنصرة فلا يمكن أن يتحقق اي عمل دون الجماعة والعمل المنظم الذي يتم على أسس وقواعد مدروسة بعناية، ويعزز ذلك أسلوب العمل بروحية الفريق الواحد، الفريق المتجانس والمتعاون، ويسدد أفراده بعضهم البعض الآخر لتحقيق الأهداف التي رسموها من خلال المبدأ الذين أمنوا به وعملوا على انجازه وتحقيقه. وعلى العكس من ذلك فبغياب التعاون والتآزر، على أن كل شخص يعمل لوحده دون تنظيم وتخطيط مع الآخرين فإنه سيشتت الجهود ويبعثر القدرات وعندها لا تتحقق الأهداف وبلوغ الغاية التي اقتنعوا وآمنوا بها.

**الاستنتاج:** أن كثيرا ما يقع العاملون بأخطاء قاسية تؤخر العمل الجماعي وتمنع من تحقيق الغاية او تؤخرها. ويعود ذلك – فيما إذا سلمنا بصحة المبدأ أو الفكرة – الى جهل العامل وعدم إيمانه بالمبدأ ولا يرغب بالعمل مع الآخرين كفريق عمل واحد يشد بعضه البعض الآخر ويتفرد بتقييم منهج العمل والعاملين على ما يفعله ويصبح هو المرجع بالتقييم واتخاذ القرار في ذلك. وتنشب الأنانية اظافرها في جسد العمل الجماعي.

ولأجل إنجاح أي عمل جماعي فلا بد من التعاون والعمل على منهج واضح المعالم وبخطوات مدروسة وتنظم لذلك مسارات العاملين ويوضع برنامج متابعة ومحاسبة في آن واحد لتقييم العمل في كل فترة زمنية محددة مسبقا.